Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/312

مدرسة فرانكفورت النقدية من مساءلة التنوير والحداثة إلى نكوص التصور والبدل الجمالي العابث

Frankfurt School from questioning the enlightenment and modernity to the decline of perception and the aesthetic alternative

د.محمد عبد الله المحجري . قسم اللغة العربية . جامعة قطر. قطر

المرسل: malmahgari@qu.edu.qa
تاريخ الإرسال 2020/10/12 تاريخ القبول 2020/10/22 تاريخ النشر

E . ISSN : 506-2602X
ISSN : 2335 - 1969
الصفحة من : 307 إلى 324

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى استقراء مساءلة مدرسة فرانكفورت النقدية للتنوير والحداثة، وتبحث في نكوص المدرسة عن تقديم التصور البديل لما نقدته ممثلًا في: العقل الأداتي، والتشيؤ والاغتراب، في ضوء اقتراح البديل الجمالي (في شكله العابث) حلًّا لإشكال العقل الأداتي واغتراب الإنسان وتشيؤه. وقد تمثلت إشكالية البحث المركزية في استقراء علاقة نكوص المدرسة (في جيلها الأول) عن تقديم التصور البديل لما نقدته، باقتراح الجمالي العابث بدلًا موازيًا للعقل الأداتي. مع دراسة أسباب ذلك النكوص.

لقد نجحت مدرسة فرانكفورت النقدية في تشريح العقل الغربي، وبيان إشكالات تحوله إلى عقل أداتي، كما نجحت، نسبيًّا، في التمكين للمفاهيم المركزية التي أنتجتها، غير أن ذلك النجاح لم يتحول، عن التوصيف والمساءلة، إلى تقديم التصورات البديلة، وإنتاج البراديغم المغاير، الذي يُمْكِن التأسيس عبره لإطار جديد. كما تستقرئ الدراسة ذهاب بعض رواد مدرسة فرانكفورت النقدية باتجاه اقتراح الجمالي العابث بدلًا موازيًا للعقل الأداتي الذي مثل رؤية تبسيطية وأحادية للإشكال المركب.

الكلمات المفتاحية: مدرسة فرانكفورت النقدية، العقل الأداتي، مساءلة التنوير.

Abstract:

This study aims to induct the accountability of Frankfurt School of Critical Enlightenment and modernity, and it examines the school's inability to present an alternative conception of what it criticized represented in: The Instrumental Reason, and The Reification and Alienation. The Frankfurt Critical School has succeeded in dissecting the Western mind, and it succeeded in explaining the problems of the transformation of the Western mind into The Instrumental Reason. It also succeeded, relatively, in enabling the central concepts that it created, but that success did not transform from characterization and accountability to presenting alternative perceptions and producing Alternative paradigm, through which a new framework can be established. In addition to the foregoing, the aesthetic's absurd proposition in place of a parallel to the instrumentalist Reason constituted a simplistic and monistic view of the complex form.

Keywords:
Frankfurt School, Instrumental Reason, Accountability of the Enlightenment.

1- مدرسة فرانكفورت النقدية ومساءلة التنوير:

1-1 مساءلة التنوير والعقل الأداتي:

جاء نقد التنوير والحداثة، في شكل مكثف، مع مدرسة فرانكفورت Frankfurt School، التي يطلق عليها اختصاراً: المدرسة النقدية، أو مدرسة فرانكفورت، ضمن أعلامها الأساسيين: ماكس هوركهايمر Max Horkheimer (1895-1973)، وتيودور أدورنو Theodor W. Adorno (1903-1969)، ثم لاحقًا هربرت ماركوز Herbert Marcuse (1898-1979)، وإريك فروم Erich Fromm (1900 - 1980). "وكانت الانطلاقة الحقيقية لهذا المشروع، مشروع نقد التنوير، بدأت عندما توصل هوركهايمر وأدورنو إلى صياغة الإشكالية الآتية: لماذا سقطت الإنسانية في بربرية جديدة، بدلًا من أن ترتقي إلى وضع إنساني أصيل؟ وقدما جوابهما في سنة 1939، في كتابهما جدل التنوير"[1]. لقد كانت مساءلة مدرسة فرانكفورت النقدية للتنوير مساءلة إشكالية، تستنطق العلل الكامنة وراء ما تصورته المدرسة من سقوط التنوير في الأداتية. غير أنها كانت مساءلة تستجوب ولا تؤسس، وقد كان كتاب جدل التنوير Dialectic of Enlightenment فاتحة ذلك التساؤل.

انصبت جهود مدرسة فرانكفورت النقدية في محاولة تشخيص نواتج التنوير، والعقل الأداتي على وجه التحديد. وفي محاولة تأسيس "رؤية نقدية عقلانية جديدة"[2]، في إطار استئناف فهم الكليات عبر فهم بنياتها التكوينية الداخلية ضمن الاتجاه الفلسفي الجدلي، تم استهداف نقد التنوير[3]:

- نقد رؤية التنوير التي استبدلت بالإله المطلق العقلَ المطلق؛ ذلك العقل الذي أصبح ينتج القيم المنمطة والأحكام الشمولية، بعد أن تخلَّص من الميتافيزيقيا اللاهوتية، ووقع في سيطرة العقل الأداتي، وتحول من عقل يثوِّر الأسئلة وينتج المعرفة إلى عقل ينتج الأدوات[4].
- نقد العلم الذي أصبح إشكالًا في ذاته كما ذهب أدورنو وهوركهايمر: "إننا نرى الآن، وفي ظل وضع نرى فيه الحضارة البرجوازية وقد آلت إلى الانهيار، أن معنى العلم بالذات قد صار إشكاليًّا، وليس النشاط العلمي وحسب"[5].
- نقد المجتمع الحديث وتوجهاته الوحشية التي أدت إلى تنميط الإنسان، في محاولة صناعة وعي مختلف بعيداً عن "الشكل المحض الخالص للعبودية: أن يوجد الإنسان كأداة،

كشيء"[6]، في سياق تبرير "الطابع العقلاني للاعقلانية"[7]، ذلك الإنسان الذي ينعى نفسه بنعيه القيمة التي تخلى عنها، كما يقول فروم: "في القرن 19 كان بإمكان المرء أن يقول: مات الله. ويجب على المرء أن يقول في القرن 20: مات الإنسان. وما وصلنا إليه اليوم: لقد مات الإنسان لتحيا الأشياء، لقد مات الإنسان ليحيا منتوجه"[8].

اتسم نقد مدرسة فرانكفورت النقدية بسمات أساسية أربع: الحدة في الطرح، والتأثر بالاتجاه الجدلي الماركسي، وعدم تقديمه (على الرغم من طرحه للإشكال في صيغ مركبة) حلولًا إجرائيةً في شكل نسقي مركب، إضافة إلى الإغراق في التشاؤم؛ الأمر الذي مكن المدافعين عن الحداثة من التقليل من تلك الأطروحات، ومهاجمة المدرسة النقدية، واتهام روادها بالبعد عن اتزان المقاربة، ولا سيما جيلها الأول[9].

ومع جيل المدرسة الثاني الذي مثله يورغن هابرماس Jürgen Habermas (1929–)، وريث مدرسة فرانكفورت، ظهرت المحاولات الأكثر توازناً في نقد التنوير والحداثة، مع فرضية هابرماس أن "الحداثة مشروع لم يكتمل"[10]، ومع نظريته في الفعل التواصلي[11]، وما يترتب عليها من: العقلانية، والنظام الأخلاقي في إطار الأخلاق الكلية. إضافة إلى أكسل هونيث Axel Honneth (1949 –) في مشروعه إتيقيا الاعتراف: الحب، والحق، والتضامن.

يمكن التأكيد هنا بأن مدرسة فرانكفورت النقدية لم تكن تستهدف مصادمة التنوير ومشروعه الحداثي، بل كانت تستهدف الكُلّيّانيّة أو الشمولية Totalitarianism بدرجة رئيسة. فـ"النظرية النقدية كانت تستهدف إبطال مفعول النزعة الشمولية وتحييدها، بل وتفضيل إيقافها تمامًا في مجتمع يفترض أنه مثقل بالنزعات الشمولية التي تستوطنه على الدوام"[12]، على الرغم من الاتهامات التي كانت ترى أن ما قدمته مدرسة فرانكفورت النقدية ليس إلا نقداً للتنوير ذاته وقيمه الحداثية في سبيل الإيغال في الظلام. يظهر ذلك في مثل أطروحات كارل بوبر Karl Popper (1902 – 1994)، الذي يصف البون الشاسع بين ما قدمه كارل ماركس Karl Marx (1818–1883) وما قدمته المدرسة النقدية، التي تشربت فكره الماركسي وحادت عن التنوير، في قوله: "كان ماركس، بالقطع، نصيراً للتنوير، أما أدورنو فقد نشر، برفقة هوركهايمر، كتاباً بعنوان "ديالكتيك التنوير" Dialectic of Enlightenment حيث يحاولان أن يبينا أن صميم فكرة التنوير بتناقضاتها الداخلية تفضي إلى الظلام، الظلام الذي يدَّعون أننا نعيش فيه الآن... مثل أدورنو... يرفع شعار "مزيد من الظلام" على شعار "مزيد من النور"[13]، أو في قوله: "ما يسمى نظرية

هوركهايمر النقدية خواء وفراغ– إنها خلو من المضمون"[14]، ويعلل ذلك بأن "إدانة ماركس ذاته لمجتمعنا لها مغزاها، لأن نظرية ماركس تستبقي الوعد بمستقبل أفضل، أما إذا تخلينا عن هـذا الوعد، كما فعل أدورنو وهوركهايمر، فتغدو النظرية خاوية وغير مسؤولة"[15].

وعلى غرار كارل بوبر يرى المؤرخ آرثر هيرمان Arthur Herman (1956–) أن مدرسة فرانكفورت هي وليدة التشاؤم الذي حل في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، يقول هيرمان: "منظرو مدرسة فرانكفورت ولدوا ونشؤوا على هذا التشاؤم، بعد تجربة الحرب العالمية الأولى وصدور كتاب شبنجلر "أفول الغرب" أصبح الكلام عن نهاية الحضارة الغربية طبيعيًّا مثل التنفس"[16]. ويؤكد زيجمونت باومان Zygmunt Bauman (1925 – 2017) ما ذهب إليه بوبر وهيرمان بقوله: "يعد كتاب الجدل السالب [كتاب أدورنو] استكشافًا مطولًا ومضنيًا للسبل التي تجعل الإنسان إنسانًا في عالم لا يرحب بالإنسانية... بعد مئات الصفحات لا نجد تفسيرًا لأي شيء"[17].

وعلى الرغم من نقد كارل بوبر والآخرين، يمكن القول بأن مدرسة فرانكفورت النقدية مع امتداد الزمن نجحت في تقديم جهاز مفاهيمي نقدي؛ مكنها، نسبيًّا، والمتأثرين بها من توجيه النقد النظري في جانبه الذي يُعَرِّي الواقع، وإن لم يمكنها من النقد التجاوزي الذي يُمَكِّن من تأسيس التصورات التجاوزية البديلة. ويأتي في مقدمة تلك المفاهيم المركزية شديدة التكثيف: العقل الأداتي (مع أدورنو وهوركهايمر)[18]، والاستلاب (مع إيريك فروم)، والبعد الواحد (مع هاربرت ماركوز)، والفضاء العمومي والديمقراطية الاجتماعية (مع هابرماس)، وتفاهة الشر (مع حنا أرندت)...إلخ.

وصحيح أن ما بعد النازية قد مثل، ولو بشكل نسبي، جانباً من الوعي المستعاد، استطاعت معه الإنسانية تأسيس جملة من المكتسبات في اتجاه البعد الإنساني والمعايير الأخلاقية والمبادئ الحقوقية، وفي مقدمتها مبادئ حقوق الإنسان، إلا أن الدروس المستفادة من المأساة في تلك الأحداث الكبرى لم تكن كافية فيما يبدو؛ لقد طغت عجلة "التشيؤ"[19] التي أصابت العقل الغربي وإنسانه (ومن ورائه العقل الإنساني برمته) بالشعور المعمق بفقدان القيمة، ولقد أسكرت نشوة النصر ما بعد الحرب الكونية الثانية أولئك الذين خرجوا منتصرين على خصومهم، فاحتدام الصراع في أشكال جديدة؛ الأمر الذي أدى إلى انتكاسة أكثر فداحة وأعمق إشكالاً من الانتكاسة الأولى؛ وهو ما أسهم في تكوين أفكار ما بعد الحداثة، بشعورها المكثف باللاجدوى والعدمية، وفي إطار تحقيق البطولة الذاتية في قصتها الصغرى بعيداً عن البطولة القيمية المتعالية. إن "الفكرة المركزية التي تفرض نفسها هي أن قطبي الحداثة الآن على وشك الانفصال، وهما العقلنة وتحقيق الذات"[20].

يمكننا هنا تأكيد نجاح مدرسة فرانكفورت النقدية في نقدها التنوير (في الجانب النظري المفاهيمي)، قياساً إلى النقد الذي وُجِّه إلى الحداثة من قِبَل نقاد ما بعد الحداثة، الذين مثّلت أفكارهم ومفاهيمهم: التفكيك، الفوضى، اللعب، الصدفة، التجاوز، الغياب، اللاحتمية، اللاتحدد، اللانسق...إلخ مجردَ عبث وانسحاب من معركة المواجهة، ومجرد تجسيد للإيغال في الاستلاب واللاتحدد؛ ليتحول الجهاز المفاهيمي برمته ودراسات ما بعد الحداثة عند فلاسفتها من القضايا المركزية والكليات الحاكمة إلى قضايا الهامش وإلى الجزئيات المفتتة، ومن استهداف الممكن وما يجب أن يكون، إلى مجرد الوصف العبثي؛ بدعوى أن لا شيء حقيقي وبدعوى وهم الحقيقة.

1-2 تقويض الوعي وارتباك المساءلة:

مثّل الوعيُ على الدوام محاكمة داخلية للواقع والأحداث والأفكار؛ لمعرفة الغايات تأسيساً وابتداءً، ولفحص الأشياء والأفكار في ذاتها تجربةً واختباراً، وللدروس المستفادة عاقبةً وأثراً. ومثّلت المساءلات، التي تزاوج فيها القلق الأنطولوجي الحدسي بالبحث الإبستمولوجي الجدلي، الوسيلةَ الأولى والركيزة الأساسية التي استند إليها الإنسان في سبيل الفهم وصناعة الوعي. إن المجتمعات حين تتطلع بقلق الأسئلة نحو صناعة الوعي وتجذيره في تربة ثقافتها العامة ومحيطها الاجتماعي تكون قد أسهمت في توطين معرفة واقعها وإدراكه بشكل دقيق، كما هو، لا كما تتخيله أو تتصوره.

وقد حاول المجتمع الغربي الحديث صناعة ذلك، قبل تحول إنسانه إلى "الإنسان المستلب"، على حدِّ تعريف إيريك فروم، و"الإنسان ذي البعد الواحد"، على حدّ تعريف ماركوز. وهو ما يحكي بوضوح تراجع حركة الوعي، بتراجع المساءلات، نحو الوهم والزيف، ونحو الريبية الموغلة في اللايقين، وإن تدثر بالمعرفة والتكنولوجيا، وبالقوة والسلطة، تلك التي يمكن في أي لحظة أن تنقلب إلى عدو لدود لإنسانها الذي أوجدها ومنشئها الذي ابتكرها قبل غيره (وهو ما حدث بالفعل في تجربة جلية سابقاً في الحربين الكونيتين في النصف الأول من القرن العشرين، اللتين كان ضحيتهما الإنسان الغربي قبل غيره).

يمكن لارتباك المساءلات أن يعبر عن السقوط في الوهم، كما يمكن لزيف الصورة أن يعبر عن هشاشة الذات المنقادة، على الرغم من قوتها الظاهرية؛ تلك الذات التي يمكن أن تسقطها حماقة واحدة من حماقات معتوهي العالم الكبار الذين يتفردون بقيادته في واقعنا المعاصر؛ وتلك هي الحالة.

وصحيح أنه قد ولى التفكير بالحتميات اليقينية في مقاربة الظاهرة الإنسانية؛ فالظاهرة الإنسانية لا يمكن تشييؤها وموضعتها في أشكال حديّة؛ إلا أن تعدد المؤشرات وتواترها يمكن أن يثير التساؤل، وأن يدفعنا نحو رؤية كلية عامة إزاء الأحداث والقضايا والعلاقات البينية المركبة. وبعيداً عن إجابات القرون الماضية عن أسئلة وقائع الحاضر، كما يتراءاها البعض، فإن بأيدينا من المؤشرات والإحصاءات الدالة على فجيعة الإنسان بإنسانيته طوال القرن العشرين، ومقدمات القرن الواحد والعشرين، الكثير للذهاب إلى منطقة السؤال عن سؤال التنوير الذي آل بعده واقع الحال إلى الريبية، وعن الحداثة التي آل مشروعها إلى فراغ ما بعد الحداثة، وعن العقلانية التي سقطت في العدمية واللاتحدد. وتلك دالة أخرى يمكنها أن تأخذ بأيدينا نحو تفهم عمق الإشكال الحضاري الذي يعيشه الفكر الغربي وإنسانه، ويعيشه العالم بحكم التبعية والارتهان.

ومثلما فقد العالم ثقته بالتاريخ وحتميته في حل إشكال الواقع، ليس ابتداء بالماركسية ولا توقفاً عند وعود اللبرالية الجديدة البراقة، فإنه يكاد يفقد ثقته بمنطلقات العالم الحر وشعاراته، ذلك العالم الذي أعلن موت القيمة، ورفع فلاسفته المتأخرون شعارات اللايقين: "أفول المعنى"[21]، وموت الحقيقة، وتقويض المركز،[22]، و"نهاية التاريخ"، و"صدام الحضارات"، و"بؤس الأيديولوجيا"[23]، وإن كانت تلك الشعارات تحمل مدلولات أوسع مما توحي به عباراتها المكثفة الحادة. هل يشير هذا إلى نظرة تشاؤمية؟! ربما، غير أن ذلك يعبر عن استقراء واقع العالم الذي يتمرأى من حولنا لمن يتأمل. لقد علمنا التاريخ أن مسيرته، وإن بَدَتْ خطّيةً في تكويناتها الداخلية ونسقيةً على مستوى أحداثه المرحلية، فإنها غير خطّيةٍ على مستوى تكويناتها العامة وأنساقها الكلية، وأن جدرانه المليئة بالثقوب كثيراً ما تتخللها الثغرات البينية؛ الأمر الذي يحيل إلى إمكان تحول النسق إلى النقيض، وتحول مرئيات الظاهرة إلى تمرئيات أخرى لم يحسب حسابها.

لقد كان نقد مدرسة فرانكفورت النقدية المبكر مؤشراً مهماً ودالةً ذات معنى كبير، كان الأجدر بالفكر الإنساني التوقف عندها، واستبصار إشكالاته وفق أطروحاتها، ومناقشتها، بعيداً عن النظرة الفوقية التي تعامل بها منظرو الليبرالية وفلاسفتها معها. بإمكاننا استجلاء بعض تلك الأسباب الخفية وراء فوقية التعامل تلك، من كون أبرز فلاسفة مدرسة فرانكفورت النقدية ومفكريها يهوداً أو كونهم ألمان. وهي أسباب يمكن استجلاؤها من واقع أطروحات مناوئيهم.

2- مدرسة فرانكفورت النقدية: من المساءلة إلى النكوص:

2-1 سقوط الرؤية الناقدة في فخ التحليل التشاؤمي:

لم يكن بعيداً عن الذهنية الفلسفية التي أنتجها التنوير والحداثة القدرة على رؤية المشكلات الحضارية التي نتجت عن الواقع الغربي الجديد في جانبها الشكلاني والعميق معاً. أدرك الفلاسفة فداحة الإشكال الحضاري ومآلات هجرة الإنسان وارتحاله من وضع الاعتبار للمقدس والقيمة إلى الأنسنة و"التشييء"، وأنه بمقدار ما تخلص من التفكير الغيبي واللاهوتي الذي وقف أمام حركة الحياة عاجزاً عن تفسيرها، كان قد وقع في أسر الحيرة والتيه أمام أسئلة الوجود الكبرى في مسيرة الحياة، تلك التي انتقل فيها الإنسان من القيمة إلى الشيء، ومن الشعور المعمق بالاستسلام التام إلى الشعور المعمق بالحيرة والتيه؛ أي رحلته من الألم إلى الألم الموازي، ومن الدوغمائية القاطعة إلى اللاتحدد واللاجدوى.

تتبدى نسقية الشكل متينة الواجهة، بحكم سيطرة التكنولوجيا وقوة الاقتصاد، إلا أن في ما وراء الظواهر ما يمكن أن ينبئ عن إمكان الانتقال إلى النقيض، كما رأينا خلال القرن العشرين: مكامن القوة قد تتغير، والتكنولوجيا قد تقع بيد أطراف متعددة، والاقتصاد الهلامي للرأسمالية قد يقع في أزمة التشظي. وكما يقول ماركوز: "بعبارة مقتضبة: إن مستقبل دولة الرفاه هو الذي سيقرر إمكانية وقف مد الثورة، وهي إمكانية قائمة بحكم سياسة السيطرة التكنولوجية... بيد أن دولة الرفاه، بالرغم من كل عقلانيتها، ليست دولة تسود فيها الحرية" [24]، "وذلك يعني أنه في لحظة استقرار نسبي ونجاح النظام، كان هناك إدراك عام أن النظام عندما يكون ناجحاً فإنه يمثل خطراً أكبر وتغرباً أكبر، عنه عندما يكون فاشلاً"[25].

وجه فلاسفة مدرسة فرانكفورت النقدية نقدهم باتجاه تحديد مظاهر الإشكال المتمثلة بالاغتراب واللاجدوى، وبالشعور المعمق بخيبة الأمل، وبتسليع حركة الحياة، وبتشييء الإنسان، غير أن ذلك النقد كان متسماً بالنكوص عن رؤية المشهد الكامل في أبعاده الكلية وأشكاله

المركبة، تلك الرؤية التي تُعنى بتمفصلات الإشكال الحقيقية في ما وراء الظاهرة، من الأسباب الجوهرية والمركزية التي تتحكم في أسِّ الظاهرة وبؤرتها، ومن الحلول الجذرية في أنساقها الكلية.

من جانب آخر، سقطت الرؤية التي قدمتها مدرسة فرانكفورت النقدية في فخ التحليل التشاؤمي دون المعالجة الجذرية وإنتاج الحلول. ولم يكن ذلك وليد العجز عن تقديم تلك المعالجة فحسب، بل وليد ذلك الواقع البائس الذي وصل إليه إنسان ما بعد التنوير والحداثة. في واقع تلك الحضارة التي يصفها أدورنو وهوركهايمر في مقدمة كتابهما جدل التنوير بأنها "الحضارة البرجوازية وقد آلت إلى الانهيار"[26].

منذ أن أسس ماركس مفهومي التشيؤ والاغتراب في مواجهة تغول رأسمالية الطبقة البرجوازية –التي حلت إبان عصر الصناعة بديلاً عن نظام الإقطاع والإقطاعيين سياسيًا واقتصاديًا وعن الدين وبطريركية الكنيسة اجتماعيًا– لا يزداد المجتمع الغربي إلا تشيّؤًا واغترابًا. لم يمثل استبدال الإنسان الغربي الإقطاع الجديد الممثل بالرأسمالية المتوحشة حلا ناجعًا على مستوى تحقيق الذات والشعور بعدم الكينونة وعدم الاستلاب، كما لم يمثل استبداله الدين وبطريركية الكنيسة حلًّا على مستوى فهم الظاهرة الإنسانية وما يقف وراءها، أو على مستوى الإجابة عن أسئلة الوجود الكبرى المقلقة.

إن مجرد عرض الإشكال، دون تقديم حلول واقعية وإجرائية غير التأسيس للثورة بمزيد من الصراع الطبقي، لم يزد الإنسان إلا اغترابًا وتشيؤًا. حدث بسطٌ للإشكال مع إيريك فروم في مشروعه النقدي، ولا سيما في كتابيه "الإنسان المستلب وآفاق تحرره" و"الامتلاك والوجود"؛ حاول فيهما المعالجة عبر وضع الأولوية في تقديم مبدأ الوجود على مبدأ الامتلاك، وتواصل طرح الإشكال مع ماركوز في مشروعه النقدي الذي يتجلى بوضوح في كتابه "الإنسان ذو البعد الواحد"، إلا أن كلا المشروعين عجز عن تعيين تلك الآفاق في التحرر، أو بسط الأفكار في استعادة الأبعاد المفقودة.

إن مدرسة فرانكفورت النقدية بقدر إيلاء تلك المعائب، في تكوّن الدولة الحديثة من مجتمع القبيلة أحادي البعد أحادي الرؤية، لم تقدر على تقديم الأنموذج و"البراديغم" المنشود في شكل عملي. لقد ظل نقد مدرسة فرانكفورت النقدية ومساءلاتها مجرد نقد يعري الإشكالات ويسائلها دون تقديم الحلول أو الإسهام في تقديم رؤية عملية واقعية يمكن الاتكاء عليها في المقاربة.

مثّلت أفكار الجيل الثاني من مدرسة فرانكفورت النقدية جانباً جزئياً من تلك الحلول الواقعية والإجرائية، أشير هنا إلى نظرية "الفعل التواصلي" لهابرماس، الذي يحاول توسل الفعل التواصلي فعلاً محايثًا يخفف الإشكال، وإن كان لا يعالجه من الجذور؛ إذ "ينتهي هابرماس إلى نفس الاستنتاجات التي يتوصل إليها أدورنو، لكن فيما يتجه أدورنو إلى نزعة تشاؤمية بحكم انعدام أي أفق للتغيير والتحرر وبحكم التشيؤ الشامل الذي لا يبقي ولا يذر، يتجه هابرماس وجهة مغايرة، فهو مهتم بالبحث في بنيات علاقة التواصل عن إمكانية توجيه الممارسة والفعل السياسي نظرياً"[27]. وأشير إلى أكسل هونيث Axel Honneth (1949-)، وهو من متأخري فلاسفة مدرسة فرانكفورت، في إتيقيا الاعتراف: الحب، والحق، والتضامن[28]، "الذي أكد في مواضع كثيرة من كتاباته، وخصوصاً في "مجتمع الاحتقار: نحو نظرية نقدية جديدة"، أن مشروعه الفلسفي يُعد استكمالاً وتعميقًا للمشروع الفلسفي الهابرماسي"[29]، وهي لا شك مبادئ إنسانية عظيمة، لكن أنى لها أن تفعل فعلها في واقعٍ تشيَّأ في شكل شبه كلي. ومع الإقرار بحاجة الإنسان إلى "يقينيات وجودية" "تعيد الاعتبار للانضباط وأخلاق العمل" بحسب ما أشار دانيال بيل في ما نقله عنه هابرماس في خطابه الشهير "الحداثة مشروع لم يكتمل"[30]، سيظل السؤال المُلِحّ: أي يقينيات وجودية تلك التي يمكن أن تروي قلق الأسئلة وتزيل الشكوك؟!

لقد حلت الرأسمالية عملياً إشكال النزاع بين الطبقات بتعميم الاكتفاء في الضروريات وبالانتقال من اقتصاد الكفاية إلى اقتصاد الكفاءة،، لكنها كانت قد خلقت، في الوقت نفسه، الانهماك في التطلع الدائم إلى الكماليات التي لا تنتهي، وإلى الشعور بالعوز والفقد لدى الإنسان الذي أضحى "يحس بنفسه فقط من خلال ما يمتلكه وليس من خلال ماهيته"[31]، الإنسان النرجسي والأناني الذي يهمه بحسب ماركس "أن يصبح محبوباً وليس أن يحب"[32]، إنسان الاستجابة المنمطة للإثارة بفعل العامل الخارجي، الإنسان الذي يشعر في الآن نفسه بالرفاه والرغد من جانب، وبالاغتراب وفقد القيمة من جانب آخر؛ وتلك إشكالات حقيقية بحاجة إلى الوقوف المطول للتأمل والمعالجة، وإن كان ذلك لا يعني الذهاب باتجاه الثلة التي "تدعو إلى ما بعد الحداثة، أو توصي بالرجوع إلى ما قبل الحداثة، أو أنها ترفض الحداثة على نحو جذري... بواعث على الشك في مشروع التنوير واليأس منه"[33].

إلا أن تعميم الاكتفاء كان قد أسهم في انتصار الرأسمالية على كل نقد وجهته إليه مدرسة فرانكفورت النقدية أو غيرها إليها. لقد انتصرت الرأسمالية انتصاراً مؤقتاً بما أتاحته من اقتصاد

الكفاءة حتى الآن من جهة، وبالنقد الذي لم يقدر على استشراف ما أمكن أن تصل إليه الرأسمالية من تحقيق تلك الكفاءة في الاقتصاد من جهة أخرى؛ فالنقد الذي لا يقدر على الاستشراف يظل نقداً قاصراً يخلو من أفق التوقع، ويموت مع الزمن، وذلك ما يمكن أن توصف به مساءلات المدرسة النقدية. يضاف إلى ذلك انحدار بعض رواد المدرسة إلى الانتصار للفن العابث، بعيداً عن تقديم إطار نظري ضابط ومتسق.

2-2 الرؤية المتحيزة باتجاه السلب دون الإيجاب:

كان التنوير قد أوصل حاضر الإنسان الغربي إلى الحداثة، التي انتقل معها إلى الأزمنة الحديثة (بتعبير هيجل)، بكل تجلياتها التي فتحت عليه آفاق حضارته الحديثة ومآلاتها، إلى جانب ما أنتجته من إشكالات معمقة. أشاح رموز مدرسة فرانكفورت النقدية وجوههم عن الجانب المضيء، ولم يروا غير الجانب الإشكالي والإخفاقات المتوالية؛ الأمر الذي جعل النظرية النقدية متهمة بالتحيز والبعد عن التوازن في الطرح، ومكّن من نقدها من قبل مناوئيها، وفي مقدمتهم الفيلسوف كارل بوبر كما مر سابقًا. يمكننا القول بأن الضغوط النفسية التي واجهت فلاسفة هذه المدرسة، بدءاً بالنازية، ومحرقتها الشهيرة " الاوشفيتز Auschwitz"، ومروراً بإخفاق اليسار في تقديم طموحاته ووعوده التي كان مآلها مع الستالينية نازية جديدة (في مقابل نجاح الرأسمالية النسبي بتعميم الاكتفاء) أسباب مهمة أسهمت في تشكُّل أحادية الرؤية وتحيزها باتجاه السلب دون الإيجاب في أطروحات المدرسة النقدية.

2-3 تشظي النظرية النقدية والبعد عن نسقية البناء التكاملي:

قدمت مدرسة فرانكفورت النقدية أفكارها في شكل أطروحات حرة غير نسقية. وعلى الرغم من مرجعية المدرسة الفكرية بانتمائها إلى اليسار، إلا أن أفكار اليسار ظلت، بالنسبة للمدرسة، إطاراً عاماً يوجه الرؤية الكلية لرموز المدرسة، إذ لم ينشأ في مدرسة فرانكفورت النقدية إطار خاص يأخذه الزمن نحو التراكم الإبستمولوجي المفاهيمي، يُمكِّن المدرسة من أن تمضي معه في إحكام نظرية متسقة تتراكم فيها المفاهيم رأسيًّا، وتمتد فيها التصورات أفقيًّا. تعددت المفاهيم المركزية في مدرسة فرانكفورت النقدية وتنوعت، ما يشي بثرائها وقوتها، إلا أن تباعدها عن بعضها كان قد أسهم في تشظي النظرية وتباعد أفكارها، وأبعدها عن نسقية البناء وتراكم مفاهيمه.

كانت مدرسة فرانكفورت النقدية قد وجهت نقدها ابتداء للعقل الأداتي مع مؤسسيها أدورنو وهوركهايمر. اهتم هوركهايمر بربط العقل بالواقع بعيداً عن تحويله إلى عقل أداتي، وبربط الفلسفة بعلم الاجتماع والواقع المعاش، واهتم أدورنو بالجمالية والنضال ضد تحول الفنون إلى سلع وبضائع استهلاكية. وبينما ركز ماركوز على نقد الرأسمالية والمجتمع القمعي، وعلى أهمية النقد الواعي باعتباره فعل مقاومة ضد القمع السياسي والتطويع التكنولوجي، وأوغل باتجاه التثوير، اتجه إيريك فروم نحو التحليل النفسي لـ"الهروب من الحرية" وإشكالات "المجتمع العاقل" و"تشريح نزوع الإنسان إلى التدمير"(34). وهؤلاء الأربعة هم ركائز مدرسة فرانكفورت النقدية في جيلها الأول المؤسس. ولا شك في أن هذا التنوع أثرى أطروحات مدرسة فرانكفورت النقدية أفقيًّا، لكنه، في الوقت نفسه، سبب ضموراً واضحاً في التراكم المفاهيمي على المستوى الرأسي.

3- مدرسة فرانكفورت النقدية: البدل الجمالي اللامتحدد والعابث:

حسب أدورنو "يجب أن ننطلق من الشكل الجمالي بدلًا من أن ننطلق من الواقع، لأن الفن بإمكانه أن يعيد صياغة العالم على نحو مغاير تماماً لما هو موجود"(35).

كان الحل الذي طرحه أدورنو، يتمثل بمواجهة التشيؤ والاغتراب بالفني والجمالي. مع تأكيده في فلسفته، تلك التي تخلو من التفاؤل ولا ترى في الأساس أيَّ بعد تحرري للمجتمع الرأسمالي، "أفولَ المعنى" وعدمَ الخلاص. يذهب أدورنو إلى أنه لا يمكننا مواجهة كل ذلك الألم الذي سببه لنا التنوير والحداثة إلا بسلاح العبث والجمالي في شكله المختلف المغاير للمعهود والسائد، وهو لا شك طرح يبسط الإشكال ويتضح فيه البؤس والقنوط(36)؛ فعلى الرغم من إمكانات الفن في مواجهة القلق الوجودي، فإن مواجهته تلك تظل عاجزة عن تقديم إجابات شافية لأسئلته المتعددة. وإن كانت "التراجيديا واحدة من أقوى الأسئلة عن معنى الحياة التي تفتقر إلى حل متفائل"(37)، إلا أن مواجهة الواقعي بالجمالي عند أدورنو كانت في باب الجمالي في جانبه العبثي بشكل رئيس، من باب "لزوم مواجهة عالم زائف بسلاح العبث"(38)؛ ذلك الذي أضحى في الغالب بديلاً عن الهادف والنزيه، جميلاً كان أم جليلاً، ولم يعد يظهر إلا " كشكل من انتحار احتجاجي ضد المبتذل والثقافة الجماهيرية غير النزيهة"(39). وما عساه يفعل الفن، والفن العابث، في عصر طغت عليه عولمة ثقافة الصورة المتحركة الموغلة في التسطيح والعنف والفردانية النرجسية. من جهة أخرى "في ظل تشيؤ الواقع وتجريد العلاقات الإنسانية لم يعد بإمكان الفن أن يمتح من

عناصر الواقع، لأنها هي الأخرى فقدت معاييرها الجوهرية. فعالم الحداثة الأداتية بلا معـــايير وبلا معيارية"[40].

"يفترِض هوركهايمر أنه إذا كانت الأعمال الأدبية ذات طبيعة توصيلية، مثل رسوم ديزنـــي المتحركة، فهي إذن لا تختلف عن أية سلعة ثقافية أخرى"[41]. ومن ثم فإنها اللغة التي تعمل على "تعطيل التفكير النقدي". لقد ذهبت مدرسة فرانكفورت النقدية إلى تجسيد إشكالية الفن والأعمال الأدبية التي تحولت إلى سلعة، وتَشَيَّأتْ شأنها شأن مفردات الحياة الأخرى. لقد كانت تلك رؤية مفارِقة للسائد الماركسي، في شقه السياسي، الذي كان يوظف الأدبي في خدمة الأفكار. وربمـــا كانت مدرسة فرانكفورت النقدية بعملها هذا تواجه التغول الرأسمالي في الحياة من جهة، وتواجه الانحراف الماركسي، في شقه السياسي عن الفلسفي، من جهة أخرى؛ أي تواجه خلل التصور، كما تراه هي، على كلا الجبهتين المتناقضتين معًا؛ تلك التي صيرت الأدب والفن وسيلة وسلعة، وتلك التي اتخذته وسيلة ثورية لتسويق الفكر.

كانت مدرسة فرانكفورت النقدية طليعية في نقدها المبكر تسليعَ الثقافة وتشييءَ الفن؛ وهو ما يحسب لها، غير أن جانب النقد بتعرية معائب التصورات هو أهون ما تقوم به أي عملية نقدية؛ ويبقى جانب خلق التصورات البديلة هو الممتنع دومًا، وهو ما يحتاج إلى فكر استثنائي خـــلاق لتحقيقه، وذلك ما لم تقدر المدرسة على إنجازه. وحين ذهبت لتأسيس ذلك التصور الجديد مـــع أدورنو، أوغلت في اللاغائية والتجريد.

وعلى الرغم من إيمان أدورنو وتبنيه قول كانط "إن الفن غائية بلا غاية"[42]، أي انخراطـــه في المجتمع وتغلغله في تفاصيل يومياته بعيداً عن وصوليته المادية، إلا أنه أوغل في لاغائيـــة الفن، وصولًا إلى تجريده الكلي من الغاية، وإلى تقديم العبثي على كل قصدية ممكنـــة، ممثلًـــا بالمسرح العبثي أو في الموسيقى المنفلتة من النمط المعتاد والزخرفة السائدة التي تحول الفن إلى سلعة عبر التشييء، وتحول الجمالية برمتها إلى اعتياد ينمط طرائق التفكير والنظر.

وحين حملت مدرسة فرانكفورت النقدية بصمة الرؤية الماركسية للأدب والفن، وأن الفـــن لا يعلو على اشتراطاته التاريخية، وليس تجريداً متعالياً، كان أدورنـــو يعتقـــد "بخـــلاف معظـــم الماركسيين، أن العمل الأصلي يبدي علائم الاستقلال من حيث قدرته على تخطي الشروط التي أنتجته"[43]؛ أي قدرته على خلق التصورات البديلة بتجاوز الأطر التي تغلغلت في الحياة بفعـــل الأنماط المتكررة، وتلك نظرة متقدمة وقفزة على السائد في تصورات المدرسة. "أدرك أدورنـــو أن الجمالية تناقض الواقع المزيف... وأن الفن الحقيقي في نظر أدورنو هو ذلك الفن الـــذي لا

يخضع لقوانين وقواعد الواقع القائم، بحيث يبقى محتفظًا باستقلاله وبمنطقه الداخلي الخاص وبقدرته النقدية"[44]. وفي حين "أن مفكري القرن الثامن عشر، حين صمموا على وضع الفن تحت حكم الجمال، لم يحاولوا مع ذلك قطعه عن صلاته بالعالم"[45]. كان أدورنو يوغل باتجاه الجمالية الخالصة من الأغراض الخارجية، غير ما يمكن أن تفعله في الداخل الإنساني.

غير أن تلك "الاستقلالية"[46]، التي تذهب مع أدورنو إلى أبعد مدى باتجاه التجريدي الخالص الذي يتغلغل في الأعماق (عبر الخوف) كما هو الحال عند بيكيت وكافكا، تتأبى على التوصيف وتوغل في التجريد واللاتحدد.

الخاتمة:

-تصدت مدرسة فرانكفورت النقدية لنقد التنوير، ومثلت مفتتحًا منهجيًّا منتظمًا في نقد التنوير والحداثة؛ نقد رؤية التنوير، ونقد العلم، ونقد المجتمع الحديث. وقد استطاعت مدرسة فرانكفورت النقدية تأسيس جملة من المفاهيم النقدية المركزية شديدة التكثيف، يأتي في مقدمتها: العقل الأداتي (مع أدورنو وهوركهايمر)، والاستلاب (مع إيريك فروم)، والبعد الواحد (مع هاربرت ماركوز)...إلخ.

- اتسم نقد مدرسة فرانكفورت النقدية بجملة من السمات، أبرزها الحدة في الطرح، والتأثر بالاتجاه الجدلي الماركسي. إلا أن النقد الذي يمكن توجيهه إلى المدرسة هو عدم تمكنها من تقديم البارادايغم البديل؛ على الرغم من طرحها للإشكال في صيغ مركبة؛ إذ لم تقدم مدرسة فرانكفورت النقدية حلولًا إجرائيةً في شكل نسقي مركب، إضافة إلى إغراق أطروحاتها في التشاؤم.

-وقد خرجت الدراسة باستقراء السمات الرئيسة في المدرسة النقدية، ودرستها تحت ثيماتها الثلاث الآتية: سقوط الرؤية الناقدة للمدرسة في فخ التحليل التشاؤمي دون المعالجة الجذرية وإنتاج الحلول، والرؤية المتحيزة باتجاه السلب دون الإيجاب، وتشظي النظرية النقدية والبعد عن نسقية البناء التكاملي. واختُتمت الدراسة باستقراء البدل الجمالي الذي ذهب إليه أحد أقطاب المدرسة الأوائل، وهو أدورنو، البدل الجمالي الذي اتسم باللاتحدد والعبث.

-لقد قدمت مدرسة فرانكفورت النقدية ذلك الجهد المنظم في نقد التنوير والحداثة، غير أن ما أنجزته كان في إطار التعرية دون الذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك؛ ما جعل مدرسة فرانكفورت النقدية تواجه نقداً لاذعاً من الجانب المناوئ لأفكارها، ممثلًا بالمدافعين عن النموذج الليبرالي، الذي رصدت الدراسة جانباً من نقده على المدرسة النقدية.

Summary

Frankfurt School from questioning the enlightenment and modernity to the decline of perception and the aesthetic alternative

This study aims to induct the accountability of of the Frankfurt School of Enlightenment and Modernity, and it examines the school's regression by presenting an alternative conception of what it has criticized, in light of proposing the aesthetic alternative (in its absurd form) as a solution to the forms of instrumental reason and the alienation of man and his reification.

The central problematic issue of the research was represented in extrapolating the relationship of school regression (in its first generation) from presenting an alternative conception of what they have criticized, by proposing the aesthetic instead of instrumental reason. With the study of the reasons for that recidivism. The research came out with a number of ideas; the following came in the introduction:

The Frankfurt School was relatively successful in empowering the central concepts it produced, but that success did not shift from characterization and accountability to presenting alternative scenarios and producing different paradigms. The aesthetics' proposition instead of a parallel to the Instrumentalist represented a simplistic and monistic view of the complex form.

The critical school represented a systematic approach to the criticism of the Enlightenment and Modernity. Criticism of the vision of the Enlightenment, criticism of science, and criticism of modern society. The critical school has been able to establish a set of highly condensed central critical concepts, at the forefront of which are: the instrumental reason (with Adorno and Horkheimer), the alienation (with Erich Fromm), the one dimension (with Herbert Marcuse) ... etc.

Criticism of the Frankfort school was characterized by a number of features, the most prominent of which is its sharpness in proposition and its influence with the Marxist dialectical trend. However, the criticism that can be directed at the school is its inability to provide an alternative paradigm. Although subtracting the forms in complex formulas; As the critical school did not present procedural solutions in a complex format, in addition to drowning its theses in pessimism.

The paper resulted in a study of the main features of the Frankfurt School, and studied them under the following three themes: the fall of the critical view of the school into the trap of pessimistic analysis without radical treatment and production of solutions, and the biased vision towards negation without positivity, and the fragmentation of critical theory and the distance from the systemic of integrative construction. The study was concluded by extrapolating the aesthetic alternative to which one of the school's early leaders, Adorno, the aesthetic alternative which was characterized by indeterminacy.

The Frankfort school presented that organized effort in the criticism of the Enlightenment and Modernity, but what it achieved was within the framework of erosion without going further than that; What made the critical school face harsh criticism from the side that opposes its ideas, represented by the defenders of the liberal model, whose criticism of the school has been monitored by the study. The divergence of the school's founders' concerns has contributed to the fragmentation of critical theory and its distance from the systemic of integrative construction, and the accumulation of its concepts, although it indicates multiplicity and expansion.

المراجع:

- إدجار، أندرو: أدورنو ومدرسة فرانكفورت المبكرة، تحرير ك. نلووف وآخرين، ترجمة مازن عزة، ضمن موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي ج9، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
- أدورنو، ثيودور، وهوركهايمر، ماكس: جدل التنوير، شذرات فلسفية، ترجمة جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط/1، 2006.
- إيغلتون، تيري: معنى الحياة، ترجمة عهد علي ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر، دون ذكر سنة الطباعة.
- باومان، زيجمونت: الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط/1، 2016.
- بغورة، الزواوي: ما بعد الحداثة والتنوير: موقف الأنطولوجيا التاريخية دراسة نقدية، دار الطليعة، بيروت، ط/1، 2009.
- بوبر، كارل: أسطورة الإطار: في دفاع عن العلم والعقلانية، ترجمة يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 292، 2001.
- بومنير، كمال: أكسل هونيث نحو نظرية نقدية جديدة (ضمن مجموعة مؤلفين في كتاب: مدرسة فرانكفورت النقدية، جدل التحرر والتواصل والاعتراف، تحرير: علي عبود المحمداوي وإسماعيل مهنانة)، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط/1، 2012.
- بومنير، كمال: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، منشورات الاختلاف، الجزائر، والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط/1، 2010.
- بوهرور، حبيب: النظرية النقدية ومفهوم النص في النقد الألماني الحديث، مجلة مركز دراسات الكوفة–العراق، مج9، حزيران، 2014.
- تورين، ألان: نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997.
- جارودي، روجيه: كيف صنعنا القرن العشرين، ترجمة ليلى حافظ، دار الشروق، القاهرة، ط، 2، 2001.
- جياني، فاتيمو: نهاية الحداثة، الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،1998.
- طودوروف، تزفيطان. الأدب في خطر. ترجمة عبد الكريم الشرقاوي، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر. ط 2، 1990.

- فروم، إيريك: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة حميد لشهب، ط/فيديرانت، الرباط، دون ذكر تاريخ الطبعة.
- كريغ كالهون: النظرية الاجتماعية النقدية، ترجمة مروان سعد الدين، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط/ 1، 2013.
- ليوتار، جان فرانسوا: الوضع ما بعد الحداثي، ترجمة أحمد حسان، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط/1، 1994.
- ماركوز، هربارت: الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، ط/3، 1988.
- المحمداوي، علي عبود: بقايا اللوغوس، دراسات معاصرة في تفكك المركزية العقلية الغربية، منشورات ضفاف، بيروت، ط/1، 2015.
- معزوز، عبد العالي: أدورنو ضد هابرماس: بين الحداثة الجمالية والحداثة التواصلية، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، لبنان، مج/29، ع/148،149، شتاء 2009.
- معزوز، عبد العالي: جماليات الحداثة: أدورنو ومدرسة فرانكفورت، منتدى المعارف، بيروت، ط/1، 2011.
- مقورة، جلول: الفعل التواصلي عند هابرماس بين النظرية والتطبيق السياسي، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط/1، 2015.
- مهيبل، عمر: مدرسة فرانكفورت وعقلانيتها النقدية، مجلة مدارات، جمعية مدارات معرفية، تونس، ع/16/15، 2003.
- هابرماس، يورغن: الحداثة مشروع لم يكتمل، ترجمة: فتحي المسكيني، تبين، ع/1، صيف 2012.
- هابرماس، يورغن: القول الفلسفي للحداثة، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995.
- هاو، آلن: النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت، ترجمة ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط/1، 2010.
- هيومان، آرثر: فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي، ترجمة طلعت الشايب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دون ذكر سنة الطبع.
- ووه، باتريشا: ما بعد الحداثة. ترجمة شعبان مكاوي. ضمن موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي ج9، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية. تحرير ك. نلووف وآخرين. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005.

---

(1) بغورة، الزواوي: ما بعد الحداثة والتنوير: موقف الأنطولوجيا التاريخية دراسة نقدية، دار الطليعة، بيروت، ط/1، 2009، ص218.

(2) تنظر دراسة مهيبل، عمر: مدرسة فرانكفورت وعقلانيتها النقدية، مجلة مدارات، جمعية مدارات معرفية، تونس، ع/16/15، 2003م، ص70-79.

(3) كان ذلك نقدًا لا نقضًا. كما يذهب هابرماس في خطابه المشهور "الحداثة مشروع لم يكتمل"، في سياق ما يشبه نفي أن يكون أدورنو (أو حتى بقية المؤسسين في المدرسة النقدية) في سياق ضدي مع التنوير والحداثة، يقول: "...فقد كرس أدورنو نفسه لروح الحداثة بلا تحفظ". تنظر العبارة في: هابرماس، يورغن: "الحداثة مشروع لم يكتمل"، ترجمة: فتحي المسكيني: تبين، ع/1، صيف 2012م، ص مرجع سابق، ص184.

(4) يجدر بالذكر الإشارة إلى أن أفكار مدرسة فرانكفورت النقدية قد تأسست على أفكار المدرسة الوضعية Positivism ونقدها، وأن تسمية "العقل الأداتي" التي اشتهرت بها مدرسة فرانكفورت النقدية مأخوذ عن ماكس فيبر max weber (1864- 1920)، تأمل عبارة ألن تورين: "فجأة أطلق هوركهايمر وأدورنو على الحداثة "أفول العقل"، ودأب على ذلك كل من تأثر بهم خارج مدرسة فرانكفورت. وهذا التفكير هو امتداد لمخاوف فيبر أكبر محللي الحداثة". تنظر العبارة في: تورين، ألان: نقد الحداثة: ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط/1997م، ص مرجع سابق، ص131.

(5) أدورنو، ثيودور، وهوركهايمر، ماكس: جدل التنوير: شذرات فلسفية، ، ترجمة جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط/1، 2006، ص14.

(6) ماركوز، هربارت: الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، ط/3، 1988م، ص 68.

(7) المرجع السابق، ص 45.

(8) فروم، إيريك: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة حميد لشهب، ط/ فيديرانت، الرباط، دون ذكر تاريخ الطبعة، 52.

(9) من أبرز المناهضين لأطروحات مدرسة فرانكفورت النقدية والذين فندوا أفكارها وتبنوا الفرضية المعاكسة لفكرة سقوط الأنموذج الغربي آرثر هيومان في كتابه المشهور "فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي"، والمؤرخ المفكر" أرنولد توينبي" صاحب نظرية "التحدي والاستجابة"،

وكارل بوبر في كثير من كتبه، مثل "أسطورة الإطار.. في دفاع عن العلم والعقلانية". يضاف إليهم "هابرماس" ابن مدرسة فرانكفورت النقدية نفسها.

(10) "الحداثة مشروع لم يكتمل" عنوان نص مشهور لهابرماس، وأصله خطاب ألقاه في 11 سبتمبر 1980 بمناسبة حصوله على جائزة أدورنو، تنظر ترجمة النص في: المسكيني، فتحي: هابرماس، يورغن: الحداثة مشروع لم يكتمل، مرجع سابق، ص183-196.

(11) "نظرية الفعل التواصلي" نظرية هابرماس المركزية، وهو عنوان كتاب مشتهر لهابرماس، صدر في العام 1981، وقد تُرجم إلى العربية أخيرًا من قبل الدكتور فتحي المسكيني، وصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، في الدوحة، في هذا العام، في مجلدين كبيرين: المجلد الأول "عقلانية الفعل والعقلنة الاجتماعية"، والمجلد الثاني "في نقد العقل الوظيفي".

(12) فاتيمو، جياني: نهاية الحداثة، الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،1998م، ص71.

(13) بوبر، كارل: أسطورة الإطار.. في دفاع عن العلم والعقلانية، ترجمة: يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، ع/292، إبريل/ مايو 2001، ص 105.

(14) السابق، ص 105.

(15) السابق، ص 106.

(16) هيومان، آرثر: فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي، ترجمة طلعت الشايب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دون ذكر سنة الطبع، ص359.

(17) باومان، زيجمونت: الحداثة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط/1، 2016، ص89.

(18) يمكن الإشارة هنا إلى أن هوركهايمر وأدورنو قد أخذا مصطلح "العقل الأداتي" The Instrumental Reason عن عالم الاجتماع ماكس فيبر Max Weber (1864 – 1920) في المدرسة الوضعية Positivism، إلا أن "العقل الأداتي" قد تحول مع مدرسة فرانكفورت النقدية إلى مفهوم مكثف.

(19) التشيؤ Reification: مصطلح أنشأه كارل ماركس، ويعني "السيرورة التي تتخذ فيها ظواهر منتجة اجتماعيًّا خاصيات ثابتة شيئية كما لو أنها جزء من الطبيعة". ينظر: إيغلتون، تيري: معنى الحياة، ترجمة عهد علي ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر، دون ذكر سنة الطباعة، ص 19. وفي جدل التنوير، عند أدورنو وهوركهايمر، هو: "مرحلة يتحول فيها الفكر إلى سلعة، ولا تكون اللغة آنئذ سوى وسيلة لتسويق هذه السلعة". ينظر جدل التنوير، مرجع سابق، ص 14.

(20) تورين، ألان: نقد الحداثة، مرجع سابق، ص 91.

(21) مقولة مركزية عند أدورنو.

(22) من أهم المقولات المركزية التي يطرحها فلاسفة ما بعد الحداثة.

(23) "نهاية التاريخ" عنوان كتاب مشهور لفوكوياما، فرضيته المركزية أن التاريخ على مشارف الوصول إلى نهايته، وأن العالم مقبل على عولمة الديمقراطية الليبرالية، أرقى تطورات الأيديولوجيا البشرية. و"صدام الحضارات" عنوان كتاب مشهور لصموئيل هنتنغتون، فرضيته المركزية حتمية الصدام بعد الحرب الباردة بين الحضارات على أساس ثقافي. و"بؤس الأيديولوجيا" عنوان كتاب لكارل بوبر، فرضيته المركزية "أن الاعتقاد بالمصير التاريخي مجرد خرافة، وأنه لا يمكن التنبؤ بمجرى التاريخ الإنساني بطريقة من الطرق العلمية أو العقلية"، والعبارة هنا لكارل بوبر نفسه في بداية مقدمة الكتاب.

(24) ماركوز، هربارت: الإنسان ذو البعد الواحد، مرجع سابق، ص 84.

(25) جارودي، روجيه: كيف صنعنا القرن العشرين، ترجمة ليلى حافظ، دار الشروق، القاهرة، ط، 2، 2001م، ص 26.

(26) أدورنو، ثيودور، وهوركهايمر، ماكس: جدل التنوير، شذرات فلسفية، مرجع سابق، ص14.

(27) معزوز، عبد العالي: أدورنو ضد هابرماس: بين الحداثة الجمالية والحداثة التواصلية، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، لبنان، مج/29، ع/148،149، شتاء 2009م، ص 102 (نقلًا عن المرجع السابق، ص294).

(28) مفهوم الاعتراف عند أكسل هونيث يرتكز على فكرة أساسية هي أنّ تحقيق الذات أمر لا يمكن إلا بوساطة الاعتراف المتبادل بين الأفراد والجماعات، وقد حدد لمفهومه ثلاثة أشكال، هي: الحب، والحق، والتضامن. ويُرجِع أكسل هونيث المفاهيم المتعلقة بالاعتراف والبينذاتية (التذاوت) إلى هيجل؛ "كونه أول فيلسوف حاول دراسة العلاقات الاجتماعية بوصفها علاقات بين ذوات تبحث عن الاعتراف المتبادل، وهذا على النقيض من التقليد الفلسفي الغربي الذي كان سائدًا في الحقل السياسي والمجال الأخلاقي، وخاصة لدى مكيافيلي وهوبز". ينظر: بومنير، كمال: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، منشورات الاختلاف، الجزائر، والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط/1، 2010 ص105.

(29) بومنير، كمال: أكسل هونيث نحو نظرية نقدية جديدة (ضمن مجموعة مؤلفين في كتاب: مدرسة فرانكفورت النقدية، جدل التحرر والتواصل والاعتراف، تحرير: علي عبود المحمداوي وإسماعيل مهنانة)، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط/1، 2012م، ص280.

(30) هابرماس، يورغن: الحداثة مشروع لم يكتمل، مرجع سابق، ص 186.

(31) فروم، إيريك: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، مرجع سابق، ص 82.

(32) السابق: ص 129، و ص 67.

(33) هابرماس، يورغن: الحداثة مشروع لم يكتمل، مرجع سابق، ص 188.

(34) "الهروب من الحرية" و"المجتمع العاقل" و"تشريح نزوع الإنسان إلى التدمير" عناوين كتب مشتهرة لإيريك فروم.

(35) بومنير، كمال: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، مرجع سابق، ص96-97. مع تصرف في الصياغة، وأصل العبارة: "يجب أن ننطلق من الشكل الجمالي بدلًا من أن ننطلق من الواقع، لأنه بإمكان أن يعيد الفن صياغة العالم على نحو مغاير تمامًا لما هو موجود".

(36) يوجه كارل بوبر سهام نقده على كثير من أفكار أدورنو، فما يطرحه أدورنو برأي كارل بوبر هو مجرد هراء. ينظر قوله في أفكاره: "مجرد حشد ألفاظ، لا شيء لديه البتة ليقوله... ولكن على قدر ما نجد تشاؤمية أدورنو فلسفية، على قدر ما نجد محتواها الفلسفي صفرًا". بوبر، كارل: أسطورة الإطار.. في دفاع عن العلم والعقلانية، مرجع سابق، ص 105.

(37) إيغلتون، تيري: معنى الحياة، مرجع سابق، ص 25.

(38) بوهرور، حبيب: النظرية النقدية ومفهوم النص في النقد الألماني الحديث، مجلة مركز دراسات الكوفة-العراق، مج9، حزيران، 2014م، ص 41.

(39) فاتيمو، جياني: نهاية الحداثة، الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 65.

(40) معزوز، عبد العالي: جماليات الحداثة.. أدورنو ومدرسة فرانكفورت، منتدى المعارف، بيروت، ط/1، 2011م، ص 294.

(41) إدجار، أندرو: أدورنو ومدرسة فرانكفورت المبكرة، تحرير ك. نلووف وآخرين، ترجمة مازن عزة، ضمن موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي ج9، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص180.

(42) السابق، ص188.

(43) هاو، آلن: النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت، ترجمة ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط/1، 2010، ص123.

(44) بومنير، كمال: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، مرجع سابق، ص101.

(45) طودوروف، تزفيطان. الأدب في خطر. ترجمة عبد الكريم الشرقاوي. ط 2، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1990. ص29.

(46) "جاءت فكرة الحداثية للاستقلال من الفكر الكانطي، وارتبطت ارتباطًا وثيقًا بفكرة كانط عن الحرية والحقيقة. والاستقلالية تعني القدرة على التصرف وفق مبادئ محددة ذاتيًا ومشكَّلة على نحو عقلاني، وليس التصرف نتيجة دوافع غير عقلانية من الداخل أو نتيجة ضغوط ديكتاتورية آتية من الخارج. إنها تعني تجاوز النزعة المادية أو التاريخية في فضاء تشكله الحرية". تنظر العبارة السابقة في: ووه، باتريشا: ما بعد الحداثة. ترجمة شعبان مكاوي. ضمن موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي ج9، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية. تحرير ك. نلووف وآخرين. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005. ص423..